وفيما يلي نموذج من بديعية الأربلي :

بعض هذا الدلال والإدلال حال بالهجر والتجنب حالي

(الجناس اللفظي)

طلب دونه منال الثريا وهوى دونه زوال الجبال

(الغلو)

وغرام أقله يذهل الآ ساد في خيسها عن الأشبال

(المبالغة)

ما جد بعض فضله بذله الما ل وقل الذي يجود بمال

(رد العجز على الصدر)

ليس فيه عيب يعدده الحساد إلا العطاء قبل السؤال

(الاستثناء) (١)

٧ - ابن مالك:

هو بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك الطائي الأندلسي أصلاً الدمشقي دارًا المتوفى سنة ٦٨٦ من الهجرة. وأبوه الشيخ كمال الدين بن مالك العالم النحوي صاحب الألفية المشهورة في النحو وبدر الدين نحوي كأبيه، وله مؤلفات في النحو والبلاغة، وكتابه **«المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع»** هو تلخيص لكتاب **«مفتاح العلوم»** للسكاكي. وقد جرّد كتابه من تعقيدات السكاكي المنطقية والكلامية والفلسفية التي قدّم بها لأقسام المفتاح وفصوله، كما أدخل عليه بعض تعديلات، أهمها نقل مبحث البلاغة والفصاحة من ذيل البيان إلى فاتحة مختصرة.

وقد جرى بدر الدين على رأي السكاكي في أن علمي المعاني والبيان يرجعان إلى البلاغة، وأن المحسنات البديعية ترجع إلى الفصاحة، كما اعترف بأن هذه المحسنات توابع لعلمى المعاني والبديع ولكنه مع ذلك جعلها علمًا مستقلاً بذاته سماه **«علم البديع»** وبذلك مهد الطريق أمام البلاغة لتصبح متضمنة علوم ثلاثة : المعاني والبيان والبديع.

---

(١) انظر القصيدة وترجمة الأربلى في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ج٢ ص ١١٨ .

ولعل أهم شيء تميز به المختصر على الأصل هو توسع بدر الدين في المحسنات البديعية فقد ذكر منها أربعة وخمسين نوعًا على حين ذكر السكاكي منها ستة وعشرين فقط. ولا ريب أن بدر الدين كان متأثرًا في ذلك برجال البديع في عصره فقد توسعوا في إحصاء أنواعه حتى تجاوزوا بها المائة، بل إن منهم من بلغ بها مائة وخمسة وعشرين نوعًا.

وقد ردّ بدر الدين المحسنات البديعية التي عرض لها في كتابه إلى الفصاحة اللفظية والمعنوية مجاريًا في ذلك السكاكي وغيره من أصحاب البديع المتقدمين عليه.

ولكنه انفرد عنهم جميعًا بجعل المحسنات البديعية المعنوية قسمين:

قسمًا يعود إلى الإفهام والتبيين، مثل المذهب الكلامي، والتتميم، والتقسيم، والاحتراس والتذييل، والاعتراض، والتجريد، والمبالغة، وقسمًا يعود إلى التزيين، والتحسين مثل، اللف، والنشر، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق.

ذلك هو مدى التطور الذي تم لعلم البديع في القرن السابع الهجرى على أيدي سبعة من أشهر رجاله هم: فخر الدين الرازي، والسكاكي، وضياء الدين بن الأثير، والتيفاشي المغربي، وابن أبي الأصبع المصري، وعلى بن عثمان الأربلي، وبدر الدين بن مالك.

وإذا انتقلنا إلى القرن الثامن الهجري فإننا نلتقي بستة علماء كان لهم اهتمام بالبديع وفنونه ومن هؤلاء من عرض للبديع في ثنايا درسه للبيان العربي بمفهومه العام ومنهم من قصد قصدًا إلى دراسة البديع لذاته في عمل مستقل.

وفيما يلي نبذة عن كل عالم من أولئك العلماء توضح الجهد الذي بذله والمساهمة التي أسهم بها في دراسة علم البديع.

١ - يحيى بن حمزة:

هو يحيى بن حمزة العلوي اليمني المتوفى سنة ٣٤٩ للهجرة وقد اشتهر بعلوم النحو والبلاغة وأصول الفقه، وله فيها مصنفات مختلفة، ويهمنا منها كتابه المسمى «**الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**» والذي يقع في ثلاثة أجزاء. ففي مقدمة هذا الكتاب يوقفنا يحيى بن حمزة على حقيقتين: الأولى أن من ألّفوا في البلاغة إما مطيل ممل وإما موجز مخل، والحقيقة الثانية أنه لم يطلع إلا على أربعة كتب مما كتبه

البلاغيون قبله، وهذه هي: «**المثل السائر**» لابن الأثير، وكتاب «**التبيان في علم البيان**» لعبد الواحد الزملكاني الدمشقي، وكتاب «**نهاية الإيجار في دراية الإعجاز**» للفخر الرازي وكتاب «**المصباح في المعاني والبيان والبديع**» لبدر الدين بن مالك كذلك يعطي في المقدمة السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه، ومفاده أنه شرع يقرأ على بعض طلابه كتاب الكشاف للزمخشري فطلبوا منه أن يؤلف لهم كتابًا في البلاغة يسترشدون به في فهم الكشاف المؤسس على البلاغة وقواعدها، فأجابهم إلى طلبهم وألف لهم هذا الكتاب.

والكتاب بحث في قواعد البلاغة سواء ما اتصل منها بالمعاني أو البيان أو البديع الذي يعنينا هنا في المحل الأول.

وكل ما ذكره يحيى بن على في كتابه عن علم البديع قد استوحاه في الواقع من كتاب «**المصباح في المعاني والبيان والبديع**» لبدر الدين بن مالك.

فهو يجري مع بدر الدين في تقسيم علم البديع إلى ما يتعلق بالفصاحة اللفظية، وما يتعلق بالفصاحة المعنوية. وفي بحثه للفصاحة اللفظية ساق يحيى بن على عشرين محسنًا لفظيًّا منها الجناس، والترصيع والتوشيح، والإلغاز، وقد عدّ من ذلك الطباق مع أنه من محسنات المعنى لا اللفظ.

وفي حديثه عن الفصاحة المعنوية أورد خمسة وثلاثين محسنًا معنويًّا منها: التشبيه، والسرقات الشعرية؛ مستوحيًا ما قاله فيها من كلام ابن الأثير. ثم ختم حديثه عن البديع بتحديد معناه وبيان أقسامه إجمالاً. تلك خلاصة موجزة لما جاء في كتاب يحيى بن على عن علم البديع.

٢ - التنوخي:

صاحب كتاب: «الأقصى القريب في علم البيان».

هو محمد بن عمرو التنوخي المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة، وكان معاصرًا ليحيى بن على وتوفيا في سنة واحدة.

وفي عنوان الكتاب ما ينبئ عن منحى التنوخي ومفهومه للبيان أو البلاغة فهو لا يجري على طريقة عبد القادر والزمخشري والسكاكي، وتلك الطريقة التي تقوم على أساس التمييز والفصل بين علوم البلاغة الثلاثة المعروفة، وإنما نراه يتتبع طريق ابن الأثير التي تعد البلاغة وحدة عضوية مترابطة.

ثم هو بعد ذلك يخالف ابن الأثير في طريقة البحث والمعالجة، فإذا كان ابن الأثير يعتمد في بحثه على الذوق الأدبي فإن التنوخي يعتمد على النحو والمنطق.

على أن حظ البديع من كتاب التنوخي ضئيل فهو يتكلم فيه عن الاعتراض، وتأكيد المدح بما يشبه الذم الذي يعده صورة من صور الكناية، كما يتكلم عن الاشتقاق، والتكرار والتقسيم والمبالغة، والتضمين، والاستدراج، والسجع، ولزوم ما لا يلزم، والجناس الذي أطال فيه. كذلك ذكر أنواعًا من البديع يمكن أن ترد إلى البيان مثل التوشيح أو الموشحات.

تلك هي فنون البديع التي ساقها التنوخي في كتابه، وهي من ناحية قليلة العدد ومن ناحية أخرى جاءت مختلفة في الكتاب على حسب مقتضيات البحث، فلا فصل ولا تفريق بين اللفظي والمعنوي منها، كما فعل بعض البلاغيين المتقدمين عليه.

٣ - ابن قيم الجوزية [(١)]:

هو شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ للهجرة.

كان بارعًا في عدة علوم، ما بين تفسير وفقه ولغة ونحو، وحديث وأصول ولزم شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وغلب عليه حبه له حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، واعتقل مع ابن تيمية في قلعة دمشق، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه. وكان مغرمًا بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلا، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم.

وقد صنّف وألّف كتبًا كثيرة منها: «**كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان**»، وهو يحتوي على مقدمة وقسمين. وفي المقدمة إشادة بعلوم البيان، لأن العلم بها في نظره يعين على معرفة إعجاز القرآن. وفي المقدمة يتحدث أيضًا عن بعض مباحث البيان من حقيقة ومجاز واستعارة وتمثيل.

وفي القسم الأول من الكتاب يتحدث عن الكناية، ثم يتطرق إلى محسنات البديع

---

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ٤ ص: ٢١ وفي النجوم الزاهرة ج٤ ص: ٢٤٩.

المعنوية فيحصي منها نحو ثمانين نوعا، وفي القسم الثاني الذي عقده للفصاحة يتكلم عن المحسنات البديعية اللفظية ويذكر منها أربعة وعشرين نوعًا.

تلك هي مباحث الكتاب بإيجاز وهي في الواقع ترديد لما اهتدى إليه المتقدمون في ميدان البيان أو البديع، وليس لابن قيم الجوزية فيها إلا فضل الجمع، وإن كان جمعًا ينقصه دقة الترتيب والتبويب.

٤ - صفي الدين الحلي [١]:

هو الشاعر المشهور صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الطائي الحلي المتوفى سنة ٧٥ للهجرة أحب الأدب ومهر في فنون الشعر كلها، وتعلم المعاني والبيان، وصنّف فيها، واحترف التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في التجارة، ثم يرجع إلى بلاده، وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان، وديوان صفي الدين الحلي مشهور يشتمل على فنون كثيرة من الشعر وله في مدح الرسول قصيدة طويلة تبلغ مائة وخمسة وأربعين بيتًا من بحر البسيط، وهي على غرار بردة البوصيري المشهورة موضوعًا ووزنًا وقافية. وهذه القصيدة هي المعروفة ببديعية صفي الدين والتي مطلعها:

إن جئت سلعًا فسل عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذي سلم

وهذه البديعية تشتمل على مائة وخمسة وأربعين محسنًا، لأن كل بيت فيها يتضمن محسنًا من محسنات البديع وقد قصر الأبيات الخمسة الأولى منها على الجناس الذي جعل له فيها اثني عشر نوعًا.

ومطلع بديعية الحلي المشار إليه آنفًا يشتمل من المحسنات على براعة الاستهلال أو حسن الابتداء كما يسميه ابن المعتز، ويعني به دلالة المطلع من البدء على موضوع القصيدة.

كذلك يشتمل المطلع على نوعين من الجناس بين **«سلام وسلم»** و**«علم وسلم»**.

وقد سمى الحلي بديعيته **«الكافية البديعية في المدائح النبوية»** وألّف عليها شرحًا سماه **«النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية»**، وفي مقدمة الشرح نبذة عمن سبقه إلى التأليف في البديع. ويقول ابن حجة الحموي: إن الحلي **«ذكر أنه جمع بديعيته من سبعين**

---

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج٢ رقم ٢٤٣١.

كتابًا» [١] ولهذه البديعية شرح آخر وضعه عبد الغني النابلسي وسماه «**الجوهر السني في شرح بديعية الصفي**»، ويلاحظ على بديعية الحلي أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعي في كل بيت اكتفاء بالتعريف به عن طريق المثال. ولعله أراد بذلك أن يسبغ على بديعيته صفة الوضوح والجمال الشعري وأن يجنبها صفة التعقيد في النظم عند التزام تسمية النوع البديعي في البيت.

وإذا كانت قصيدة الأربلي السابقة الذكر هي المحاولة الأولى في القصائد البديعيات فإن بديعية صفي الدين الحلي هي المحاولة الثانية في هذا الاتجاه.

٥ - ابن جابر الأندلسي [٢]:

وهو محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسي الضرير المتوفي سنة ٧٨٠ للهجرة. وقرأ القرآن والنحو والحديث على شيوخ عصره وكان شاعرًا جيد النظم عالمًا بالعربية، وذكر لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة أن ابن جابر نظم: «**فصيح ثعلب**»، و«**كفاية المتحفظ**» وغير ذلك وقد رحل من الأندلس إلى مصر والشام واصطحب معه أبا جعفر الغرناطي، فكان ابن جابر ينظم الشعر والغرناطي يكتب.

ولابن جابر بديعية على قافية الميم من بحر البسيط سماها «**الحلة السيرا في مدح خير الورى**» نظمها على طريقة بديعية صفي الدين الحلي وشرحها صاحبه أبو جعفر.

وبديعية ابن جابر تقع في مائة وسبعة وعشرين بيتًا، استهلها بقوله:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم وانثر له المدح وانشر أطيب الكلم

ويذكر أبو جعفر في مقدمة شرحه لهذه البديعية أن ابن جابر اتبع في سرد المحسنات البديعية الخطيب القزويني في كتابيه التلخيص والإيضاح، وذلك يعني أنه قصر بديعيته على المحسنات البديعية ولم يخلطها ببعض فنون البيان كما فعل غيره.

وقد التقي ابن جابر مع صفي الدين الحلي في عدم الالتزام بتسمية النوع البديعي في البيت، ولكنه خالفه من جهة عدم الإكثار من المحسنات في قصيدته مكتفيًا فيها بنحو ستين محسنًا، على حين تضمنت قصيدة الحلي مائة وخمسة وأربعين محسنا.

---

(١) انظر خزانة الأدب لتقى الدين ابن حجة الحموى ص: ٣٦٨.

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٣ ص: ٤٢٩. وفي نكت الهيمان للصفدى ص: ٢٤٤.

والمتصفح لبديعية ابن جابر يرى أنه جرى فيها على طريقة بدر الدين بن مالك من حيث تقديم المحسنات اللفظية على المحسنات البديعية.

ويبدو أن المحاولات الثلاث أو البديعيات الثلاث التي عرضنا لها حتى الآن، وأعني بها بديعية كل من الأربلي، وصفي الدين الحلي، وابن جابر الأندلسي قد لفتت أنظار العلماء الشعراء فراحو يتبارون في نظم بديعيات على غرارها يمدحون بها الرسول ويضمنونها من المحسنات البديعية ما قدروا عليه مما عرفوا منها، وكأن تأثرهم بصفي الدين الحلي أكثر من غيره ومن أشهر من اقتدى به من هؤلاء العلماء:

٦ - عز الدين الموصلي [١]:

المتوفى سنة ٧٨٩ للهجرة وهو عز الدين على بن الحسين الموصلي الشاعر المشهور، نزل دمشق وأقام بحلب مدة، وبرع في النظم، وجمع ديوان شعره في مجلد واحد.

وللموصلي بديعية مشهور مطلعها:

براعة تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلم

وهي قصيدة نبوية في مائة وخمسة وأربعين بيتًا عارض بها بديعية الصفي الحلي، وزاد عليه الالتزام بأن يودع كل بيت اسم النوع البديعي بطريقة التورية أو الاستخدام. مثال ذلك كلمة «**براعة تستهل**» في مطلع بديعيته السابق الذكر فإنها تشير إلى «**براعة الاستهلال**»، أحد المحسنات البديعية.

وكأني بالموصلي أراد بذلك أن يظهر تفوقه على صفي الدين الذي لم يلتزم بإدخال أسماء المحسنات البديعية في نسيج الأبيات اكتفاء بالتعريف بها بالأمثلة من ناحية وبذكر أسمائها أمام الأبيات أو بحذائها من ناحية أخرى.

وقد علق ابن حجة الحموي على بديعية الموصلي بقوله: «**للشيخ عز الدين الموصلي قصيدة بديعية التزم فيها بتسمية النوع البديعي وورّى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي، لأنه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل..... وربما رضي في الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى، ونثر شمل**

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة ج ٣ ص: ١١٢.

الألفاظ والمعاني لشدة ما عقّده نظمًا» [١].

ويقارن عبد الغني النابلسي بين الموصلي والحلي في مقدمة شرح بديعيته هو المسمي **«نفحات الأزهار»** بقوله: **«ثم جاء بعد صفي الدين الشيخ عز الدين الموصلي فعارضه بقصيدة على منوال قصيدته، وذكر من الأنواع ما ذكره، وزاد عليه بعض شيء يسير من اختراعاته معجبًا بذكر اسم النوع البديعي في ألفاظ البيت موريًا به لئلا يحتاج إلى تعريف النوع من خارج النظم، ولكنه تعسف وتكلف في غالب أبياته، وهجر موضع الرقة والانسجام، ثم شرحها شرحًا يبين فيه مقصده ومراده مع الاختصار، ولم يشف غلة الأفكار»**.

هذا وللشيخ عز الدين الموصلي بديعية أخرى لامية على وزن قصيدة كعب بن زهير التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وبعد فتلك نبذة تصور حال البديع في القرن الثامن، كما تصور الجهود التي بذلها في سبيل تطويره ستة من علماء هذا العصر، ثلاثة منهم عرضوا للبديع في ثنايا كتبهم عن البيان العربي، أو عرضوا له على أنه علم بلاغي مستقل عن علمي المعاني والبيان وهؤلاء هم: يحيى بن حمزة، والتنوخي، وابن قيم الجوزية، أما الثلاثة الآخرون فمن أصحاب البديعيات وهم: صفي الدين الحلي، وابن جابر الأندلسي، وعز الدين الموصلي. وإذا ما اجتزنا القرن الثامن إلى القرن التاسع الهجري وما بعده فإننا نرى أن الاتجاه الغالب في دراسة البديع يتمثل في نظم البديعيات التي تنحو منحى صفي الدين الحلي أو عز الدين الموصلي وتتبارى مع هذا أو ذاك في منحاه. وأول هؤلاء المتبارين هو:

١ - ابن حجة الحموي [٢]:

المتوفى سنة ٨٣٧ للهجرة هو تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي، كان إمامًا عارفًا بفنون الأدب متقدمًا فيه طويل النفس في النظم والنثر. وله مصنفات كثيرة منها: بروق الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم، وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، وثمرات الأوراق في المحاضرات، وخزانة الأدب وديوان شعرٍ بديع.

---

(١) انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٢.

(٢) انظر ترجمته في **«الضوء اللامع»** للحافظ السخاوى، وكشف الظنون لحاجى خليفة.

ولابن حجة الحموي بديعية مشهورة في مدح الرسول ﷺ تبلغ مائة واثنين وأربعين بيتًا وقد استهلها بقوله:

لي في ابتدا مدحكم باعرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم

وقد حاول في نظمها كما ذكر في مقدمة شرحه لها أن يجمع بين الحسنيين، أعني أن يقتدي بعز الدين الموصلي في تضمين ألفاظ البيت ما يشير إلى نوع المحسن البديعي الذي بناه عليه، وأن يقتدي بصفي الدين الحلي في رقة شعره وجمال نظمه وسلاسته.

وما من شك في أن بديعيته أرق وأسلس في نظمها من بديعية عز الدين، ولكنه لم ينجح كل في التخلص مما عابه من ثقل النظم والتكلف الشديد في بديعيته.

وليس لابن حجة في بديعيته فضل اختراع أو زيادة على من تقدموه من أصحاب البديع، وكل ما له من فضل أنه جمع فيها من أعمال السابقين مائة واثنين وأربعين نوعًا من المحسنات ويختلط اللفظي فيها بالمعنوي من غير فصل أو تحديد. وكل ما يلحظ من خلاف بينه وبين سابقيه هو في تسمية بعض الأنواع فالتصدير والالتزام مثلاً عنده هما: رد العجز على الصدر، ولزوم ما لا يلزم عند غيره. ولعل التغاير في تسمية بعض أنواع المحسنات عند ناشئ من صعوبة تطويع اسم النوع كله للنظم.

وقد وضع ابن حجة الحموي شرحًا مطولاً لبديعيته في ٤٦٧ صفحة أطلق عليه اسم «**خزانة الأدب**» وربما كان هذا الشرح أهم من البديعية ذاتها، لأنه قد حوّله حقيقة إلى «**خزانة الأدب**» أودعها الكثير من علمه ومعارفه. فهو يكثر في الخزانة من الأمثلة والشواهد وخاصة لشعراء عصره والقريبين منهم في العصر الأيوبي، وكثيرًا ما يعرض لنوادرهم ومساجلاتهم الأدبية مع ذكر ما يستحسنه من أشعارهم وقد يستطرد فيسوق بعض ملاحظات له أو لغيره متصلة بالبديع، أو يورد تراجم لبعض الأدباء أو يتتبع المعاني التي أخذها شاعر من آخر كتتبعه للمعاني التي أخذها صلاح الدين الصفدي من جمال الدين بن نباتة.

فالشرح الذي أودعه «**خزانة الأدب**» هو في الواقع موسوعة أدبية تجمع بين اللغة والأدب والبلاغة والنقد والتاريخ والتراجم ومنظوم الكلام ومنثوره، وهو في ذلك كله مرجع عام لا غنى عنه، ومرجع خاص لشعراء العصرين الأيوبي والمملوكي.

٢ - وللسيوطي [١]:

جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال الخضيري الأسيوطي المتوفى سنة ٩١١ للهجرة بديعية سماها «**نظم البديع في مدح خير شفيع**» له عليها شرح، ولكنها لم تنل من الشهرة ما نالته غيرها من بديعيات.

٣ - عائشة الباعونية:

هي التقية عائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعوني المتوفاة سنة ٩٢٢ للهجرة، وأثنى عليها كثير من الأدباء، وهي شاعرة ذات ديوان شعر بديع. ولها في مدح الرسول ﷺ بديعية فريدة في مائة وثلاثين بيتًا أطلقت عليها اسم «**الفتح المبين في مدح الأمين**» [٢] ومطلعها:

في حسن مطلع أقماري بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

وتحدثنا الباعونية في شرحها المختصر لبديعيتها عن سبب نظمها فتقول «**هذه قصيدة صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطباع، ومنقحة بحسن البيان مبنيّة على أساس تقوى من الله ورضوان سافرة عن وجوه البديع سامية بمدح الحبيب الشفيع، ومطلقة من قيود تسمية الأنواع، مشرقة الطوالع في أفق الإبداع، موسومة بين القصائد النبويات بمقتضي الإلهام الذي هو عمدة أهل الإشارات «بالفتح المبين في مدح الأمين»**.

وتقول عن الشرح: «واستخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها في شرح يروق الطلب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده، وهو أن أذكر بعد كل بيت حد النوع الذي بنيته عليه، وأقر شاهده فإن ذلك مما يفتقر إليه، وأنحو في ذلك الاختصار ولا أخل بواجب، وأنبه على ما لا بدّ منه قصدًا لنفع الطالب».

ومن هذه الكلمة نرى أن حب الرسول هو الدافع إلى نظم هذه البديعية التي حشدت فيها مائة وثلاثين نوعًا من المحسنات البديعية، وأنها لم تتقيّد بتسمية الأنواع، وأن طريقتها في الشرح أن تورد بعد البيت حد النوع الذي بنته عليه مشفوعًا بالشاهد في اختصار غير مخل.

---

(١) انظر ترجمة هذا العالم الجليل بقلمه في كتابه «**حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**» ص: ١٥٥، وقد أعد له برو كلمان ٤١٥ مصنفًا بين كتب كثيرة ورسائل ومقامات طبع أكثرها.

(٢) هذه البديعية وشرحها على هامش «**خزانة الأدب**» لابن حجة الحموى ابتداء من صفحة ٣١٠.

وقد وصف الشيخ عبد الغني النابلسي الباعونية بقوله: «**إنها فاضلة ومن تآليفها هذه البديعية الفريدة المسماة بالفتح المبين في مدح الأمين نظمتها على منوال تقي الدين بن حجة، مع عدم تسمية النوع تمسكًا بطلاقة الألفاظ وانسجام الكلمات، وشرحتها بهذا المختصر الذي أسفرت فيه عن لسان البيان بقدر الطاقة والإمكان ولها ديوان شعرٍ بديع في المدائح النبوية كله لطائف، ومن تآليفها مولد جليل للنبي ﷺ اشتمل على فرائد النظم والنثر**»[1].

٤ - ومن أصحاب البديعيات أيضًا صدر الدين بن معصوم الحسيني المدني المتوفى سنة ١١١٧ للهجرة بمدينة حيدر أباد. وقد استهل صدر الدين هذا بديعيته بقوله:

حسن ابتدائي بذكرى جيرة الحرم له براعة شوق تستحل دمي

وهي على غرار بديعية كل من عز الدين الموصلي وتقي الدين بن حجة، من حيث تضمين أبياتها أسماء المحسنات البديعية. وقد وضع لها شرحًا سماه «**أنوار الربيع في أنواع البديع**»، وفيه تعرض - كسابقيه من أصحاب البديع - للحديث عمن صنفوا في البديع، ودونوه في مدائحهم النبوية البديعية.

٥ - وممن عاصر صدر الدين واشتهر في هذا الميدان الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي[2] المتوفى سنة ١١٤٣ من الهجرة. وهو شاعر مولع بالبديع، له مؤلفات مختلفة، منها بديعيتان، نحا في إحداهما منحى صفي الدين الحلي وعائشة الباعونية، بمعنى أنه مثلهما لم يلتزم فيها اسم النوع البديعي، ومطلع هذه البديعية التي سمّاها «**نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**» هو:

يا منزل الركب بين البان فالعلم من سفح كاظمة حييت بالديم

وله فيه شرح سماه «**نفحات الأزهار**» تحدث فيه عمن ألفوا في البديع ومن نظموا البديعيات:

أما بديعيته الثانية فمطلعها:

يا حسن مطلع من أهوى بذي سلم براعة الشوق في استهلالها ألمي

وهي على منوال بديعية عز الدين الموصلي وتقي الدين بن حجة من حيث تضمن كل بيت اسم النوع البديعي الذي بني عليه وقد كتب كل بيت من البديعية الثانية أمام ما يماثله

---

(١) خزانة الأدب للحموى ص ٤ .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ الجبرتى ٢ ص: ٢٢ .

في هامش البديعية الأولى، والتزم ذلك من اطبعوا هذا الشرح، وللبديعية الثانية شرح وضعه القلعي مع البديعيات العشر.

وفي شرحه «**نفحة الأزهار**» يحدثنا عن بديعيته الأولى بقوله:

«**نظمت هذه القصيدة الميمية المسماة بنسمات الأسحار في مدح النبي المختار على طريقة تلك القصائد البديعية معرضًا عن نظم اسم النوع البديعي في أثناء البيت لأني رأيت ذلك إنما يكسب تنافر الكلمات وغرابة المباني وقلاقة** [1] **المعاني**» ثم يستطرد إلى القول بأن التصرف في اسم النوع لضرورة النظم يجعل التعرف عليه ممن لا يعرف اسمه ورسمه أمرًا صعبًا والغريب أنه نقده لهذا النوع من البديعيات يعمد إلى نظم قصيدة بديعية من طرازها!

كذلك ينبئنا في شرحه «**نفحات الأزهار**» أن أبيات كل من بديعيته تبلغ مائة وخمسين بيتا، وأنهما يشتملان على مائة وخمسة وخمسين محسنًا بديعيا، بعد زيادة أنواع لطيفة وفنون ظريفة، لا توجد في البديعيات التي سبقته، «**وربما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم، والمعتمد فيها على ما أسس البيت عليه**» ثم يشير إلى أن شرحه وسط بين الإيجاز والإطناب حتى يشعر قارؤه بالملل والسأم.

تلك هي أهم البديعيات التي ظهرت قبل العصر الحديث، أي منذ قام بالمحاولة الأولى في هذا الاتجاه على بن عثمان الأربلي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري حتى عصر عبد الغني النابلسي.

وفي العصر الحديث نلتقي أيضًا بآخرين من أصحاب البديعيات ومن أشهر هؤلاء:

١ - البيروتي [2]:

وهو السيد أحمد البربير البيروتي الذي ولد في دمياط ونشأ في بيروت وتوفى في دمشق سنة ١٢٢٦ للهجرة. وكان شاعرًا أديبًا ومن آثاره الأدبية: مقامات البربير على نسق مقامات الحريري، والشرح الجلي على بيتي الموصلي، توسع في شرحهما حتى استغرق كتابًا كاملًا فيه كثير من فنون الأدب، والبيتان لأحد شعراء القرن الثامن عشر الميلادي؛ عبد الرحمن الموصلي، وهما:

---

(١) **قلاقة المعانى**: اضطرابها.

(٢) له ترجمة في تاريخ أدب اللغة العربية لجورجى زيدان ج٤ ص: ١٩٩.

إن مرّ والمرآة يومًا في يدي من خلفه ذو اللطف أسمى من سما
دارت تماثيل الزجاج ولم تزل تقفوه عدوًا حيث سار ويمّما

وللبيروتي هذا قصيدة بديعية في مدح الرسول ﷺ أودعها الكثير من أنواع المحسنات ولها شرح وضعه مصطفى الصلاحي.

٢ - الساعاتي:

المتوفى سنة ١٢٩٨ للهجرة.

هو الأديب الشاعر محمود صفوت الزيلع الشهير بالساعاتي ولد في القاهرة سنة ١٢٤١ من الهجرة، وفي العشرين من عمره سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهنالك نم فضله عليه فأكرمه أمير مكة «الشريف محمد ابن عون» وصحبه فظل ملازمًا له وسافر معه إلى غزواته في نجد واليمن ووصف كثيرًا من وقائعه في شعره.

وعندما عزل الشريف محمد بن عون عن إمارة مكة هاجر إلى مصر وفي صحبته الساعاتي، ثم سافر معه بعد ذلك إلى القسطنطينية، وفيها وقع بينه وبين الشيخ زين العابدين المكي تنافس أدبي.

وفي أوائل عام ١٢٦٨ للهجرة عاد إلى القاهرة فوظف بالحكومة وظل ينتقل من وظيفة إلى أخرى حتى فاجأته منيته سنة ١٢٩٨للهجرة، وهو عضو بمجلس أحكام الجيزة والقليوبية. وشعره إذا قيس بشعر من تقدموه ببضعة قرون أو بشعر معاصريه أجود وأرقى.

وديوان الساعاتي مطبوع، وله فيه قصيدة بديعية في مدح الرسول تبلغ مائة واثنين وأربعين بيتًا التزم فيها تسمية أنواع البديع وعارض بها بديعية تقي الدين حجة الحموي. وقد نظمها سنة ١٢٧٠ للهجرة واستهلها بقوله:

سفح الدموع لذكر السفح والعلم أبدى البراعة في استهلاله بدم

وقد جرى في نظمها على طريقة ذكر النوع البديعي وإتباعه بالبيت الذي بناه عليه، وفيما يلي نموذج لذلك:

(التورية)

وكم بكيت عقيقًا والبكاء على بدر وتوريتى كانت لبدرهم